



في فقه الحوار وفقه التعايش

د. محمد بشاري

أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي





١- تعريف المصطلحات

أ-تعريف الحوار: الحوار والمحاورة مصدر حاور يحاور، ومعناه لغة الجواب والمجادلة قال أبي منظور "وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، والمحورة من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة" (١).

والحوار كلمة تستوعب كل أنواع وأساليب التخاطب سواء أكانت منبعثة عن طريق المتحاورين أو عن غير خلاف، لأنها إنما تعني المجاورة والمراجعة في المسألة موضوع التخاطب، وهو وليد تفاهم وتعاطف وتجارب كالصدقة، وبعبارة أخرى، فإن الحوار لا يمكن أن يكون إلا بين أطراف متكافئة تجمعها رغبة مشتركة في التفاهم (٢)، ولا يكون نتيجة ضغط أو ترغيب (٣).

ولذلك كان الحوار أعم من الاختلاف ومن الجدل، وصار له معنى حضاري بعيد عن الصراع، إذ الحوار كلمة تتسع لكل معاني التخاطب والسؤال والجواب (٤).

وقد ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، اثنان منها في صيغة الفعل وهما قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف: ٣٤)، وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿وَقَالَ لَهُ

(١) لسان العرب، مادة " حوار " .

(٢) آفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب، ص ٩- د.عبد العزيز التويجري.

(٣) مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، ص ٧٩، محمد سماك.

(٤) الحوار في القرآن، ص: ٩ آية الله محمد حسين فضل الله.



صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿ (الكهف: ٣٧)، والثالث في صيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ (سورة المجادلة، الآية ١) (١).

فقه الحوار والتعايش والتساكن

ب- تعريف التعايش

إن التعايش نتيجة طبيعية لحركة الحوار الهادف بين مكونات المجتمع المدني الحديث، فيما بينها، وبين أسس النظام الدولي الجديد في مفهومه الجديد للدولة الحديثة.

ففي مصطلح التعايش: نجد أن المصطلح مشتق من فعل: "تعاشوا عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي، وعاشه، عاش معه، والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والشرب والدخل (٢).

أما مصطلح الفقه: وهو معرفة الأحكام الشرعية الجزئية من أدلتها التفصيلية، من مثل أحكام الطهارة والنجاسة والعبادات والمعاملات وأحكام الزواج والطلاق والرضاع وغيرها.

وفقه الحوار أو فقه التعايش: هو معرفة حكم الشرع في حركة الحوار وعملية التعايش، وحدودهما وضوابطهما هذا من جهة.

(١) أدب الحوار في الإسلام، مداخلة للمحامي محمد القدوري في مؤتمر الإيسيسكو حول أدب الاختلاف حي الإسلام.

(٢) المعجم الوسيط، ج ٢/ ص ٦٣٩ - ٦٤٠ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة.



من جهة أخرى، فقه التعايش معناه عند الأقليات المسلمة - خصوصاً - مدى توافق الأحكام الشرعية مع معاشيتها مع أهل الديانات السماوية، والفلسفات الوضعية ومكونات المجتمع المدني - عموماً - وماهي مقاصد الشارع الحكيم في التنوع والاختلاف.

من هنا جاء تفصيل آية الله محمد علي تسخير^(١) في موضوع التعايش من رؤية إسلامية: "هذا التعايش الذي لا يعني فرض النمط الواحد من التفكير والسلوك أو التنازل عن الحق أو توزيعه على المتعايشين بنسبة متساوية، بل يعني في الرؤية الإسلامية، احترام الحقوق والخصوصيات، فالصورة المثلى للتعايش هي صورة دولة المدينة التي كان اليهودي والنصراني يعيشان في كنفها بأمان إلى جنب المسلم، وكان الحبشي والرومي والفارسي يتمتعون فيها بكل حقوق المواطنة كالعربي تماماً".

٢- ميادين الحوار

لا بد لأي حوار يراد له النجاح من أن ينطلق من مبدأ أساس يومي إلى هدف ثابت: هو البحث عن الحقيقة من وجهة نظر الطرف الآخر، باعتبار أن إيمان الشخص بصواب رأيه لا يعني أن رأي الطرف الآخر غير صواب، ومتى تحقق هذا المنهج وتلك الرغبة أمكن القول بأن ميدان الحوار واسع فسيح:

- فهناك حوار الحياة الذي يعني الاهتمام بالطرف الآخر وبخصوصياته وأفكاره وظروفه الخاصة، سعياً لإيجاد قواسم مشتركة معه.

- وهناك حوار العمل: الذي يعني تضافر الجهود لتحقيق كل ما هو في صالح

(١) عرض حول الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات، برلين - ألمانيا يوليو ٢٠٠٠.



الإنسانية والصالح العام من الجهات الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية.
 - وهناك حوار العقل والفكر والعقيدة، الذي يعني تفهم أوجه التباين بين مختلف الديانات، واستغلال القواسم المشتركة بينها.
 - وهناك حوار التجارب وتبادل المعلومات والخبرات^(١).

وإذا تتبعنا حركة الحوار في الإسلام وجدنا أن ميدانه متسع زماناً ومكاناً، فمن حيث الزمان بدأ الحوار منذ عهد النبوة، وما يزال قائماً إلى الآن، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

ومن حيث المكان: فإن الحوار الإسلامي لا يقف عند حدود معينة بل إنه يخاطب سائر بني البشر أينما وجدوا، دونما نظر إلى لون أو شكل أو لغة أو دين: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾ (لقمان: ٢٨).

ثم إنه بالنظر إلى شخصية الطرف الذي تقع المحاوره معه وعقيدته؛ نجد أن الحوار يتجه صوب جميع الطوائف والأفراد، وهكذا نجد: حوار الرجل مع أهله، وحوار الصديق مع صديقه، وحوار المسلم مع المسلم، وحوار المسلم مع غير المسلم،^(٢) وحوار الإنسان مع نفسه، وحوار الإنسان مع الطبيعة^(٣).

٣- مجالات الحوار

تتنوع مجالات الحوار من حيث أطراف الحوار إلى حوار: الشعوب، الجماعات،

(١) مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، ص ١٢٧، د محمد السماك.

(٢) مداخلة في أدب الحوار في الإسلام، محمد القدوري في مؤتمر الإيسيسكو.

(٣) أدب الاختلاف في الإسلام - الرباط - ديسمبر ١٩٩٨.



المذاهب، الحكومات، الأديان، المذنبات والحضارات الثقافات والعوائد.
إن تحديد مجالات الحوار - في عملية التعايش - يقودنا إلى جملة من
المعاني محملة بمفاهيم تتضارب فيما بينها، ولكن يمكن تصنيفها إلى
مستويات ثلاثة:

المستوى الأول: سياسي، إيديولوجي، يحمل معنى الحد من الصراع، أو
ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في المرحلة
السابقة، أو العمل على احتوائه، أو التحكم في إدارة هذا الصراع بما يفتح
قنوات للاتصال، وللتعامل الذي تقتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية،
وقد عرف التعايش أول ما عرف على هذا المستوى.

المستوى الثاني: اقتصادي، يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات
والشعوب فيما له صلة بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية، من قرب أو بعد.
المستوى الثالث: ديني، ثقافي، حضاري، هو الأحدث، ويشمل تحديداً
معنى التعايش الديني، أو التعايش الحضاري، والمراد به أن تلتقي إرادة أهل
الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن
والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون على ما
فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعاً، من دون استثناء.

انطلاقاً من هذا المستوى الثالث، وعلى ضوء المفهوم المحدد الذي
نستخلصه؛ نتعامل مع مصطلح التعايش، وننظر في أبعاده ومراميهِ^(١).
وما يجب أن تقوم به الأمة الإسلامية والأقليات المسلمة - خصوصاً - في

(١) الحوار من أجل التعايش، معالي الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، ص ٧٦



تحريك جميع الوسائل المشروعة، ومنها الحور؛ ليستتب الأمن والأمان ويحقق حواراً هادفاً وتعايشاً سلمياً بين الإسلام والغرب في جميع مكوناته.

وقضية الإسلام والغرب "ليست قضية مقابلة عدوانية بين معسكرين وجيشين، بل هي قضية خاطئة ومغلوبة متعمدة وإنما العكس، وذلك كما جاء في تفسير الإسلام في اللسان العربي هو: "الخضوع والاستسلام لأمر الله بطاعته والاستجابة لأوامره ونواهيه" وهو اصطلاحاً: "دين الله في الأرض منذ خلق الله الإنسان حتى قيام الساعة، فجميع الأنبياء والمرسلين كانوا مسلمين لله. وهو أيضاً ما نزل به الوحي السماوي على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم. والسلام، وهو مشتق من الإسلام - خاصة هذا الدين -، فالله السلام، ومنه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة: ٢٠٨).

أما "الغرب" فهو اصطلاحاً: الحضارة الغربية التي تشمل قارتي أوروبا وأمريكا الشمالية، وقد ازدهرت هذه الحضارة في أوروبا بداية في العصر الأوروبي الوسيط، وكان للدين المسيحي دور بارز فيها، ثم لم تلبث أن ازدهرت مرة أخرى منذ عصر "النهضة الأوروبية" مستلهمة حضارتي الإغريق والرومان في العصر الأوروبي القديم، ومتأثرة باحتكاكها بحضارة الإسلام، ودخلت "عصر التنوير" الأوروبي الذي برزت فيه "علمانية أنكرت الدين وواجهت الكنيسة، في العصر الأوروبي الحديث، وامتدت إلى قارة أمريكا الشمالية إثر الكشوفات الجغرافية الأوروبية.

وهي الآن تعيش عصر "مابعد الحداثة" الذي يشهد مراجعة لأفكار عصر "التنوير الأوروبي" وظاهرة إحياء روحي^(١).

(١) آفاق المستقبل في علاقات الإسلام والغرب، محاضرة مخطوطة للأستاذ أحمد صدقي الدجاني.



ولإنجاح عجلة الحوار والتعايش مع الغرب بمكوناته الدينية وخصوصياته الثقافية وبنائه الحضاري، يتعين على الأمة الإسلامية في قضائها الفكري والحضاري والأقليات المسلمة بخصوصية وجودها كأقلية دينية أو بشرية في فضاء تلاقي الأبدان والأجساد ومحيط احتكاك الخصوصية الثقافية لكل مكونات المجتمع المدني الغربي، يتعين علينا إذن وضع قواعد واضحة وثابتة لإنجاح الحوار وتجنیه كل عوامل التصدع والإخفاق والفشل.

٣- مبادئ وأسس الحوار

إن صلاحية الإسلام لكل زمان ولكل مكان وباختلاف الأحوال، تجعل - منتسبيه - يضعون شروطاً لإنجاح الحوار، منطلقاً من خصوصياته في تحديد علاقة المسلمين بغيرهم، فأهمها:

- الأمة النموذج: أي الأمة الوسطية والشاهدة
- المبدئية: وهو تعايش قائم على مبدئين هما: أولاً: بين المؤمنين، ثانياً: مع الآخرين.
- نفي السبل على المؤمنين: إلغاء أي تصرف أو معاهدة تؤدي إلى هيمنة الغير على المسلمين.

- العدالة: يشكل العدل أهم أصول التصور الإسلامي للواقع، وأهم الأسس عند التعامل الاجتماعي تبعاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨) لتأييد البعد الإنساني في عنصر العدل.

- تأليف القلوب: باعتباره عنصراً فعالاً في تفتح النفوس على الحقيقة



وتقربها إلى الواقع وتعميق التعايش الإيجابي بين مختلف اتجاهات المجتمع.

- الوفاء بالعهد: أي الوفاء بكل العهود والاتفاقات التي تعقد بين المسلمين وغيرهم ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤).

- التعامل بالمثل: يهدف الإسلام إلى ردع الاعتداء واستقطاب القلوب، لذا يعد مبدأ جزاء الإحسان بالإحسان ومبدأ القصاص مبدأين واقعيين يرتضيهما المنطق الإنساني والتعامل الفردي والاجتماعي^(١).

وحتى نؤصل لحياة مشتركة بين الأمة الإسلامية وأقلياتها وبين الغرب بثقافته وأديانه، يجب تحقيق أمور - كما ذهب إلى ذلك المفكر الإسلامي الدكتور أحمد كمال أبو المجد^(٢) ينبغي أن يتوجه إليها أصحاب الحضارات:

الأمر الأول: الإيمان الحقيقي بالتعددية

والتعددية تقتضي التمايز، أما إذا عممنا حضارة واحدة، وغلبنا نسقاً ثقافياً واحداً تحت ظلال الكوكبة أو العولمة؛ فإننا نكون قد قضينا على صدق دعمنا للتعددية، لأنه تعدد إلا عند الاختلاف.

وهذا الاختلاف هو الذي يصنع الثراء، ويضيف تجربة قوم إلى تجربة قوم، وخبرة أمة إلى خبرة أخرى، وبالتالي لا بد في إطار التعددية من المحافظة على الهوية، وعلى الخصوصية الثقافية التي تضيف وتغذي.

الأمر الثاني: بصدق وواقعية استحالة إزالة الآخر وتصفيته.

وفي خصوص الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية، ينبغي أن

(١) مصدر سابق، آية الله التسخيري.

(٢) الإسلام والغرب، مداخلة للدكتور أحمد كمال أبو المجد في المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة - جمهورية مصر العربية.



يدرك المسلم بأنه لن يستطيع التخلص ممن ليس مسلماً، وينبغي أن تدرك أوروبا وأمريكا كذلك أن الحقيقة الإحصائية تشير إلى أنه من بين كل ستة أشخاص يدبون بأقدامهم على ظهر هذا الكوكب يوجد مسلم أو مسلمة، وأن التصفية الجسدية لسدس البشرية أو التصفية الثقافية لحضارة سدس البشرية أمر غير ممكن ولا مطلوب بأي معيار من المعايير.

الأمر الثالث: ضرورة إعادة النظر في الخطاب الديني، والدين كان وسيبقى ذا دور متعاظم في توفير البنية الأساسية الأخلاقية للنظام العالمي الجديد، وهذه المراجعة يجب أن تشمل -وهي ضرورية- جميع خطب الأديان السماوية التي تجمعها رسالة وملة إبراهيم عليه السلام.

وأهم ركيزة في الحوار بين الإسلام - كأمة وأقلية-، وبين الغرب كثقافات وأديان-، وهي النتيجة الطبيعية لذلك هي التعايش بين الأديان، بدلاً عن الحرب المزعومة في هذا القرن كما تنبأ لذلك المفكر الفرنسي الوزير أندري مالرو حين قال: إن القرن الواحد والعشرين سيصير قرن الدين أو نقيض ذلك، أي احتدام الصراع الديني...

وشعوراً بخطورة مسؤولية التعايش بين الأديان، قامت عدة منظمات وهيئات إسلامية- بل ودول إسلامية- بالعمل على إرساء قواعد وأسس للتعايش بين الأديان داخل العالم الإسلامي لاحتواء مشاريع أزمات الأقليات المسيحية في العالم الإسلامي، أو لحماية الأقليات المسلمة من خطر الاستئصال والتطهير العرقي في أوروبا.

وفي طليعة هذه المنظمات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وما تقوم به



في تكثيف الحوار مع النصارى والفاتيكان، ورابطة العالم الإسلامي، والأزهر الشريف، والمنتدى الإسلامي الدولي للحوار، ومؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، والمجلس العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وجامعة الصحوة الإسلامية المغربية، والجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومنظماتها المتخصصة، كالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو.

هذا ما حدى بمعالى المدير العام للإيسيسكو - د. عبد العزيز بن عثمان التويجري في وضع هذه الأسس، أسس التعايش الديني: (١).

الأساس الأول: الإرادة الحرة المشتركة، بحيث تكون الرغبة في التعايش نابعة من الذات، وليست مفروضة تحت ضغوط، أياً كان مصدرها أو مرهونة بشروط، مهما تكن مسبباتها.

الأساس الثاني: التفاهم حول الأهداف والغايات، حتى لا يكون التعايش فارغاً من أي مدلول علمي، أو لا يحقق الفائدة للطرفين، بحيث يكون القصد الرئيسي من التعايش، هو خدمة الأهداف الإنسانية، وتحقيق المصالح البشرية العليا، وفي مقدمتها استتباب الأمن والسلم في الأرض، والحيلولة دون قيام الحروب والنزاعات، وردع العدوان والظلم والاضطهاد الذي يلحق بالأفراد والجماعات، واستنكار كل السياسات والممارسات التي تهضم فيها حقوق الشعوب، على أي مستوى من المستويات، ومحاربة العنصرية والعرقية واستعلاء جنس على جنس، تحت أية دعوى من مثل هذه الدعاوي المتهافنة المردودة الباطلة.

الأساس الثالث: التعاون في العمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف

(١) الحوار من أجل التعايش، ص ٧٦-٧٧-٩١ د. عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للإيسيسكو.



المتفق عليها ووفقاً لخطط التنفيذ التي يضعها الطرفان الراغبان في التعايش.

الأساس الرابع: صيانة هذا التعايش بسياج من الاحترام المتبادل، ومن الثقة المتبادلة أيضاً، حتى لا ينحرف التعايش عن الخط المرسوم، لأي سبب من الأسباب، وحتى لا تغلب مصلحة طرف على مصلحة الطرف الثاني، مهما تكن الدواعي والضغوط، وذلك بأن يتم الاحتكام دائماً إلى القواسم المشتركة، وإلى القدر المشترك من القيم والمثل والمبادئ التي لا خلاف عليها ولا نزاع حولها، يعزز هذا النزوع الالتزام من الجانبين بما اجتمعت عليه إرادة المجتمع الدولي، من مبادئ قانونية استوحاها تطور الفكر السياسي الإنساني من قيم الأديان السماوية عبر تراكم المعرفة طوال حقبة التاريخ.

ولعل الإطار الذي رسمه فضيلة الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- (١) للتعايش، يمثل في رأينا الصيغة المثلى لتحديد صورة هذا التعايش بين المسلم وبين غيره، فلقد وضع ثلاثة مبادئ للتعايش والحوار وهي:

أولاً: الاتفاق على استبعاد كل كلمة تخذش عظمة الله وجلاله، فأنا وأنت متفقان على أن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأنه لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأنه ليس متصفاً بالنقائص والعيوب التي تشيع بين البشر...

ثانياً: الاتفاق على أن الله يختار رسله من أهل الصدق والأمانة والكياسة.

ثالثاً: ما وجدناه متوافقاً في تراثنا نرد إليه ما اختلف فيه، وبذلك يمكن

(١) صيحة تحذير من دعاة التنصير، ص ٢٩ الشيخ محمد الغزالي.



وضع قاعدة مشتركة للأديان^(١).

إذن فالحوار ليس مجابهة بغيضة، وإنما هو حركة تعايش سلمي وودي بين مكونات المجتمع الدولي بقصد إحلال الأمن والسلم والفضيلة واحترام حقوق الإنسان والخصوصيات الثقافية والدينية والحضارية.

٤- القواعد المشتركة

إن الصلة بين الإسلام والمسيحية، وبين سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عيسى عليه السلام نابعة من شهادة القرآن الكريم وقواعده حيث يقول الله تعالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة ٨٢).

فإضافة إلى الأصول المشتركة بين المسلمين والمسيحيين هناك أهداف مشتركة نابعة من كلتا الديانتين، ونابعة أيضاً من الواقع الذي يفرض نفسه أمام كل مخلص محب للإنسان والإنسانية.

وهذه القواسم المشتركة بين المسلمين والمسيحيين تتمثل من وجهة نظرنا^(٢) نحن المسلمين في القواعد التالية:

القاعدة الأولى: الأصول الإيمانية الواحدة

يقول النبي عليه الصلاة والسلام : ((الأنبياء إخوة لعلاتٍ، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد)). (رواه البخاري)

(١) صحيفة تحذير من دعاة التنصير، ص ٢٩ الشيخ محمد الغزالي

(٢) آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب - مداخلة لسماحة المفتي الشيخ أحمد كفتار وفي المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.



ولذلك فإن الحقائق الإيمانية عند جميع الأنبياء والمرسلين واحدة ، وتتمثل فيما يلي:

١- الإيمان بالله الواحد الأحد لا شريك له، خالق الكون والمتصف بالكمال والمنزه عن النقص.

٢- الإيمان باليوم الآخر حيث الحساب والجزاء ثم الثواب والعقاب.

٣- الإيمان بالملائكة الأطهار

٤- الإيمان بجميع الرسل والأنبياء الذين أدوا دعوة الخلق إلى الله تعالى؛ بدءاً بآدم عليه السلام، وختماً بمحمد ﷺ.

٥- الإيمان بكل كتب ورسالات السماء المنزلة على الأنبياء والمرسلين.

يقول الله عز وجل: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦).

وهذه الحقيقة التي نطق بها القرآن الكريم نقرأها وضاحة جلية في أسفار اليهود والنصارى الموجودة حالياً، فهذه الوصايا العشر واضحة تماماً في العهد القديم حيث جاء: "أنا الرب إلهك، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (سفر الخروج ٢٠/٢-٥).

ونقرأها واضحة جلية في إنجيل المسيحيين ، حيث جاء في إنجيل مرقس "إن أول كل الوصايا الرب إلهنا رب واحد، الله واحد، وليس آخر سواه" (إنجيل مرقس ١٢/٢٩-١٢).

وجاء في إنجيل يوحنا قول المسيح: " وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك



أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته " (إنجيل يوحنا ١٧/٣-٤).

القاعدة الثانية: تكريم السيد المسيح عليه السلام وعائلته.

فإنه لا يوجد كتاب على وجه الأرض قد منح السيد المسيح وأمه البتول وعائلته الكريمة تكريماً وتبجيلاً أعظم من القرآن الكريم، بل إن تكريم القرآن الكريم للسيد المسيح وأمه وعائلته يفوق بلا ريب تكريم الإنجيل الذي يؤمن به النصارى، ففي القرآن الكريم سورة (آل عمران)، وهي اسم عائلة السيد المسيح، وهي ثاني أطول سورة في القرآن، وهناك سورة (مريم) والددة السيد المسيح، في حين لا توجد سورة تحمل عائلة سيدنا محمد ﷺ أو أمه.

القاعدة الثالثة: المثل الأخلاقية المشتركة

وحيث إن مصدر الديانات السماوية واحد، فلا بد أن تكون المثل والتعاليم الأخلاقية وأيضاً واحدة.

ويمكن أن نذكر أمثلة عن هذه المثل الأخلاقية التي نطق بها الإسلام، وكان قد تحدث عنها المسيح عليه السلام:

١- تكريم الإنسان ورحمته مطلقاً. (انظر الآية ١٣ / الحجرات، وإنجيل متى ٥/٢).

٢- نشر المحبة والإحسان بين الناس (انظر سورة البقرة/ ١٩٥، وإنجيل الوقا ١٠/٢٧).

٣- العفو والصلح (انظر آل عمران/ ١٣٤، وإنجيل متى ٥/٣٨).



٤- ترك الفواحش والتزام العفاف والطهر (انظر الإسراء ٢٤ ، وإنجيل متى ٢٧/٥).

٥- الأمانة (انظر المؤمنون / ٨ ، وإنجيل متى ٢٣/٥).

٦- حفظ اللسان عن الآثام (انظر الإسراء/ ٥٣ ، وإنجيل متى ٢٢/٥).

القاعدة الرابعة: السلام والأخوة الإنسانية.

وهذا أمر واضح وجلي في القرآن الكريم، وفي سيرة المصطفى ﷺ، فقد لخص الله تعالى مهمة رسوله ﷺ في كلمات قليلة واضحة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وكان النبي ﷺ يتحدث عن نفسه فيقول: ((إنما أنا رحمة مهداة))^(١) بل لقد سمى نفسه نبي الرحمة. وكان دائم القول: ((خاب عبد وخسر، من لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر))^(٢).

ولذلك وضع قاعدة يجب أن تكون دستور العلاقات بين شعوب العالم بقوله: ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))^(٣) وقال: ((من لا يرحم الناس لا يرحمه الله، ولا تنزع الرحمة، إلا من شقي))^(٤).

ولقد طبق ﷺ والمسلمون بعده هذه المبادئ الإنسانية، فنهاها واضحة في قوله ((ما آمن بي ساعة من نهار من بات شبعا؛ وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم))^(٥).

(١) رواه البيهقي في الشعب، انظر كنز العمال (١١/ ٤٤٥).

(٢) رواه أبو نعيم (كنز العمال ٣/ ١٦٢).

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه الطبراني.



وبمثل هذه المنطلقات الإنسانية انتشر السلام والأخوة بين الناس ، ونجدها واضحة جلية عند المسيح عليه السلام، فقد جاء في موعظة الجبل في إنجيل متى قول المسيح عليه السلام : " طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات، طوبى للحزانى لأنهم يتعزون، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجوع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون " (إنجيل متى ٥ / ١ - ١٠).

٥- في فقه الحوار وفقه التعايش نحو بناء مستقبل مشترك

نرى تأسيس فقه حوارى وتعايشي في إطار فقه الأقليات المسلمة - خصوصاً؛ لاعتبار العيش المشترك والاحتكاك اليومي وآفاق مستقبل الغد الموحد واجباً وضرورياً لقيام الأقليات المسلمة في الغرب بدورها أحسن دور، وذلك مراعاة لانتمائها المزدوج: إنتمائها إلى الإسلام عقيدة وأمة، وإلى الغرب أرضاً وواقعاً، ومستقبل العلاقة بين الإنتمائين التكامل.

وإن جملة من العوامل الموضوعية والتاريخية تساعد على بناء هذا المستقبل المشترك، منها:

أولاً: الوحدة الإنسانية

ثانياً: التقارب الجغرافي بين الشرق والغرب.

ثالثاً: وجود أقليات دينية وعرقية في كلا الجهتين.

رابعاً: انتشار لغات الغرب الرئيسية: الإنجليزية، الفرنسية، الأسبانية، الألمانية والإيطالية في بلاد المسلمين الذين هم أيضاً يطمحون أن تشيع لغاتهم



في بلاد الغرب، وفي مقدمتها العربية، وهو مما ييسر التفاهم، ويزيد التقارب بين الطرفين.

خامساً: إن التعاون بين الإسلام والغرب ضروري، وهو لصالحهما معاً، ذلك أن في أيدي المسلمين ثروات استراتيجية، وفي أيدي الغربيين علوم وتقنيات متطورة، وكل في حاجة إلى هذه وتلك، ونقل التكنولوجيا وتوطينها بالعالم الإسلام وسيلة وضرورة.

سادساً: سقوط جميع المعايير الأيديولوجية وانتشار عولمة غير عادلة تقتل في الإنسان إنسانيته وأخلاقياته.

وانطلاقاً من هذه العوامل ظهرت عدة مؤتمرات وندوات عالمية، تارة بالوطن الإسلامي^(١) (المغرب-ليبيا-مصر-الأردن-إيران - المملكة العربية السعودية...) وأخرى بالغرب (أوروبا- وأمريكا..)، وفي مقدمتها المبادرة السويدية "الإسلام وأوروبا" سنة ١٩٩٤ والذي نتج عنها محاولة توفيقية بين تصورات الجهتين.

وأهم التوصيات التي خرج بها هذا المؤتمر، ولقد لخصها السفير لارش لونباك-المنسق العام للمبادرة في:

١- استمرار الحوار الثقافي والديني حول القضايا ذات الأهمية المشتركة وحول القضايا المعاصرة.

٢- تطوير الأنظمة التعليمية على كافة المستويات.

(١) سرد هذه الدول-لا حصرها- التي شارك فيها المؤلف عبر ندوات ومؤتمرات موضوع الحوار



- ٣- تشجيع أداء أفضل وأقل تحيز في الوسائل الإعلامية.
 - ٤- إجراء الأبحاث واتخاذ الإجراءات المناسبة لمحاربة التصورات المسبقة والتمييز ضد المسلمين في أوروبا.
 - ٥- التنسيق بين البرامج القائمة حالياً للوصول إلى تلك الغايات.
 - ٦- استخدام وسائل وأنظمة المعلومات الحديثة لتحقيق مختلف الأهداف المعلنة.
 - ٧- إجراء دراسات حول التاريخ المشترك.
 - ٨- إجراء دراسات حول التراث الثقافي والديني المشترك.
- ويمكن أن تؤسس فقه الحوار الهادف وفقه التعايش السلمي على هذه الاستنتاجات، ونضيف إلى ذلك نقاط ومنطلقات أخرى، منها:
- ١- الحوار المتكافئ البناء.
 - ٢- التسامح واحترام الاختلاف.
 - ٣- التعاون بنية صادقة في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية.
 - ٤- التعايش السلمي.
 - ٥- السعي إلى تحقيق التنمية المستدامة لشعوبها.
 - ٦- تكثيف لقاءات المسؤولين السياسيين من الطرفين بهدف التشاور وتبادل الرأي واتخاذ القرارات وسن التشريعات ولإرساء قواعد راسخة للأمن والسلم في العالم وصالحه بأكمله.



٧- العمل على تحسين صورة كل طرف لدى الآخر:

(أ) في الإعلام بجميع وسائله.

(ب) في الكتب المدرسية.

(ج) في حذف الأخطاء التاريخية من الوثائق، ولا سيما من المنشورات الحديثة.

٨- شجب العنف ومكافحة الإرهاب بكل أشكاله.

٩- العمل على تكريس الحريات العامة، وحقوق الإنسان في العالم قاطبة.

١٠- التعاون على إخماد الفتن والحروب، واقتلاع جذور المجاعة والأمراض والفقر.

١١- عقد مؤتمرات وندوات مشتركة يدعى إليها رجال الفكر والعلماء في كل الاختصاصات لتدارس سبل التعاون والتقارب.

١٢- نشر ثقافة كلا الطرفين والتعريف بخصوصياتها ووضع أسس الاحترام المتبادل.

١٣- تطوير السياحة الثقافية وإقامة المعارض والتعريف بالماثر في كل بلد من الجانبين.

١٤- تشجيع الحوار والتزاور بين الشبان من الطرفين.

١٥- إقامة سياسة بيئية ناجعة لحماية محيطيها، ودعم المجهود العالمي في هذا المجال.



والخلاصة أن فقه الحوار وفقه التعايش ضرورة ملحة اليوم ؛ من أجل إرساء قواعد السلم والأمن في عالم يعيش الانقلابات والتوترات في جميع الميادين، وذهب ضحية ذلك الإنسان بمقوماته الحضارية وبعده الديني، ففتح الباب لمرتزقة الفكر أن يغامروا في تأصيل " صراع الحضارات " ويتنبؤوا بنهاية التاريخ، وكل ذلك لن يخدم مصلحة الإنسان وسعادته، بل سيقضي عليه وعلى وجوده أو على الأقل على عواطفه النبيلة في مسعاه الطبيعي للسلام والعدل والطمأنينة.

إن الأقليات المسلمة بفقهها المتميز وبتطلعاتها المستقبلية لغد مشرق تلعب دوراً طلائعياً في تقريب القلوب وتصحيح المفاهيم المغلوطة إعلامياً أو أكاديمياً، وهي خير رسول للحضارة الإسلامية والعقيدة الحنيفة.